الإعجاز البلاغى فى سورة القلم

د. هناء عابدين عبدالله
مدرس النقد والبلاغة
بكلية الآداب بسوهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ(٦)إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ(١٣)أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥)سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ(١٦) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ(٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ(٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ(٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ(٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا

تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ(٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ(٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ(٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٥٢)

صدق الله العظيم

مُقَدِّمَة

من إعجاز القرآن الكريم أن يظل مشغلة الدارسين والعلماء جيلاً بعد جيل، ثم يبقي أبداً رحب المدى سخي المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية، امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمح، عالياً يفوت طاقة الدارسين..... وبعد

قد نكون عرفنا البلاغة علماً وثقفناها صناعة ومنطقاً. غير أننا ما نزال في أشد الحاجة إلى أن نجتليها ذوقاً أصيلاً وحساً مرهفاً في آيات الفصاحة العليا والبيان المعجز. وجل الباحثين على أن البلاغة هو الوجه الأصيل في إعجاز القرآن الكريم، إذ هو الوجه الذي يلازمه في كل سورة، بل في كل تركيب، ويحس بروعتها كل من يستمع إلى كلام الله، ويصغي إلى آياته.

وكان من فضل الله عليَّ أن وفقني إلى دراسة الإعجاز البلاغي في سورة القلم، وقد حاولت من خلال هذه الدراسة أن أبين مواطن البلاغة وسر الإعجاز في التصوير البلاغي الذي زخرت به سورة القلم من خلال مباحث علوم البلاغة الثلاثة "المعاني والبيان والبديع".

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تأتى في مقدمة وتمهيد تناولت فيه اسم السورة ومناسبتها لما قبلها في الترتيب النزولي والمصحفي ومكان نزولها، وفيمن نزلت، وآراء المفسرين في مكية آياتها أو مدنيتها، ثم وضحت ما في السورة من موضوعات.

ثم تناولت – بعد التمهيد – آيات السورة بالتفسير والتحليل البلاغي، فذكرت المعنى العام الذي تدور حوله آيات هذه السورة كل آية أو مجموعة آيات على حدة.

ثم فصلت القول في الأسرار البلاغية التي ذكرت في السورة موضحة وجه جمالها وتمكنها من مكانها وحسنها وتأديتها للغرض منها سواء كان ذلك الغرض متعلقاً بالمعاني أو البيان أو البديع.

والله من وراء القصد، له ﷻ الفضل والمنة، ومنه التوفيق وبه المستعان.

نص سورة القلم

سورة القلم

"توطئة"

سورة القلم هي السورة الثامنة والستون في ترتيب سور القرآن الكريم، و المشهور أنها نزلت بعد العلق، فتكون ثانية السور في ترتيب النزول بعد سورة "العلق" وهو الذي ذهب إليه أكثر الأئمة[١].

وقد سميت هذه السورة في معظم التفاسير "سورة القلم" وفي صحيح البخاري [٢]" سورة ن والقلم "على حكاية اللفظين الواقعين في أولها، أي سورة هذا اللفظ.

وهي سورة مكية قال ابن عطية: ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل [٣] وفي تفسير القرطبي أن ابن عباس وقتادة قالا: أولها مكي إلى قوله تعالى " على الخرطوم " ومن قوله " إنا بلوناهم" إلى قوله "لو كانوا يعلمون" مدني، ومن قوله "إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم" إلى قولـــه " فهم يكتبون " مكي ، ومن قوله " فاصبر لحكم ربك " إلى قوله " من الصالحين" مدني، ومن قوله "وإن يكاد الذين كفروا" إلى آخر السورة مكي [٤].

وبناءً على ذلك فالسورة مكية مبكرة، إلا الآيات من (١٧: ٣٣) والآيات من (٤٨: ٥٠) فمدنية.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية بالقاهرة، ٨٣/١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وعبد العزيز بن باز، مكتبة الصفا بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ج٨/ ص ٥٨٩.

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، طبع بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة ومراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت ١٩٩٢م، ١٠/ص ٣٣٤.

(٤) تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" ، للقرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة، ٦٧٠٠/١٠.

وقد ذكر أبو حيان أن معظم السورة نزل في "الوليد بن المغيرة وأبي جهل، ومناسبتها لما قبلها: أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم الأرض أو لأرسل عليهم حاصبا. وكان ما أخبر تعالى به هو ما يلقنه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرةً إلى الشعر ومرةً إلى الجنون، فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، والثناء على خلقه العظيم" (١).

وفي قول أبي حيان "مناسبتها لما قبلها" يعنى بذلك سورة "الملك" التي وضعت قبلها في ترتيب المصحف، وفيه التفات إلى نسق هذا الترتيب، لا يفوتنا معه أن سورة الملك نزلت متأخرة، فهي السابعة والسبعون في ترتيب النزول على المشهور، بينها وبين سورة القلم، على أي قول في ترتيب نزولهما، أكثر من سبعين سورة" (٢)

ما في السورة من موضوعات:-

١- بدأت السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر الرسول ﷺ وإبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ من اتهامه بالجنون، وإثبات أخلاقه العظيمة، ومناقبه السامية.

(نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ...) [الآيات من ١-٤]

٢- ثم يكشف الله للنبي ﷺ حقيقة حال المشركين ويهددهم بافتضاح أمرهم وانكشافه وضلالهم المبين.

(فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ...) [الآيات من ٥-٧]

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ج١٠/ص ٢٣٤.

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة/ عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة، ج٢/ص٣٩.

٣- ثم يحذر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم من إطاعة المكذبين، محدداً أحد هؤلاء المكذبين بالذات، ثم يصفه بصفات مزرية ويتوعده بالإذلال والمهانة.

(فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ *وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ...) [الآيات من ٨-١٦]

٤- ثم يضرب الحق سبحانه وتعالى مثلاً لعاقبة البطر بالنعمة، ومنع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين بقصة أصحاب الجنة الذين جحدوا نعمة الله ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين، فأحرق الله حديقتهم وجعل قصتهم عبرة للمعتبرين.

(إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ....) [الآيات من ١٧-٣٣]

٥- ثم قارنت السورة بين المؤمنين والمجرمين، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب.

(أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ...) [الآيات من ٣٤-٤١]

٦- ثم تناولت السورة الكريمة القيامة وأحوالها وأهوالها، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب الذين يكلفون فيه بالسجود لرب العالمين فلا يقدرون.

(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ...) [الآيات ٤٢-٤٧].

٧- ثم يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بالصبر في تبليغ الدعوة، وأن لا يضجر ضجراً عاتب الله عليه نبيه يونس عليه السلام حين ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر.

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ...) [الآيات من ٤٨-٥٢].

فضل سورة القلم:

عن أبي بن كعب قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ومن قرأ سورة ن والقلم، أعطاه ثواب الذين حسن أخلاقهم. وروى علي بن ميمون عن أبي عبيد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة ن والقلم، في فريضة أو نافلة، آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر أبدا، وأعاذه إذا مات من ضمة القبر إن شاء الله" [1].

قال تعالى :

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ [1]﴾

التفسير :

(ن)

تعد سورة القلم أول سورة نزلت مفتتحة بحرف مقطع من حروف الهجاء[2]، وهذا الحرف جاء للإعجاز والتحدي، تحدى المعاندين بالتعجيز عن الإتيان بمثل سور القرآن، وهذا أول التحدي الواقع في القرآن إذ ليس في سورة العلق السابقة لهذه السورة في ترتيب النزول إشارة إلى هذا التحدي.

وقد ذهب المفسرون إلى أن الحروف المقطعة التي ذكرت في أوائل السور فيها بيان لإعجاز القرآن الكريم، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من الحروف التي يتخاطبون بها،... ولكن النظم مختلف وهو في أعلى درجات البلاغة فنظمه البديع المعجز آية وعلامة على كونه من عند الله تعالى ، ... ولهذا فإن كل سورة افتتحت بالحرف فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة " [3].

---

(١) مجمع البيان لعلوم القرآن، تأليف الإمام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع-طهران، ١٩٧٧م، ج١٠/ص٨٩.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٧م، ٢٩/ ص٥٧.

(٣) فتح القدير ،للشوكاني، تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، ١/٢٩-٣١.

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

التفسير :

كلمة قلم كلمة عامة تشمل جميع الأقلام في السماوات والأرض أي "ما كتب به اللوح أو قلم الملائكة أو الذي يكتب به الناس" [1] العلوم والمعارف، فإن القلم أخو اللسان ونعمة من الرحمن على عباده.

وفي قسم الله سبحانه وتعالى بالقلم والكتابة دليلاً على فضل الكتابة والقراءة، فالإنسان من بين سائر المخلوقات خصه الله بمعرفة الكتابة فقال (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق من ٤-٥] وحسبك دليلاً على شرف القلم أن الله أقسم به في هذه السورة تمجيداً لشأن الكاتبين، ورفعاً من قدر أهل العلم، ففي القلم البيان كما في اللسان، وبه قوام العلوم والمعارف.

التحليل البلاغي:-

١- أسلوب الآية الكريمة إنشائي غير طلبي[٢]، فقد أقسم سبحانه وتعالى بالقلم والكتابة لتنبيه خلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي تنال بها العلوم، وآثر الحق سبحانه وتعالى القسم بالقلم والكتابة للإيماء إلى أن باعث الطاعنيين على الرسول ﷺ و اللامزين له بالجنون، إنما هو ما أتاهم به من الكتاب.

---

(١) تفسير النسفي، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م، ٣/ص ٢٧٩.

(٢) الإنشاء غير الطلبي: مالا يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب كالقسم، وأفعال المقاربة، وأفعال التعجب، والمدح والذم، وصيغ العقود، ورُبَّ، وكم الخبرية ... انظر الأساليب الإنشائية في النحو العربي، تأليف عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ٢٠٠١م، ص ١٣.

ويتجلى مبحث الفصل والوصل[1] في هذه الآية الكريمة، فقد وصل سبحانه وتعالى بين الجملتين بالواو في قوله "والقلم وما يسطرون" غير أن الواو الأولى هي واو القسم، والواو الثانية هي واو العطف كما يقول ابن هشام "فإن تلت واو القسم واواً أخرى نحو قوله تعالى "والقلم وما يسطرون" فالتالية واو العطف، وإلا احتاج كل من الاسمين إلى جواب [2].

ويظهر الوصل واضحاً بين الجملتين، لاتحادهما في الإنشائية لفظاً ومعنى، لأنهما من القسم، وهو من نوع الإنشاء غير الطلبي.

قال تعالى

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) ﴾

التفسير:

أي لست يا محمد بفضل الله وإنعامه عليك بمجنون، والمقسم عليه نفى أن يكون النبي ﷺ مجنوناً، والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لما دعاهم إلى الإسلام فقالوا: هو مجنون، وذلك ما شافهوا به النبي ﷺ وحكاه الله عنهم في آخر السورة " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ " [القلم –٥١].

---

(١) الفصل والوصل ظاهرتان أطال البلاغيون الوقوف إزاءهما وأولوهما عناية فائقة في ميدان علم المعانى، ولذلك قال بعض البلغاء: البلاغة هي "معرفة الفصل والوصل" والمقصود بالوصل هو "عطف جملة على جملة أخرى"، أما الفصل فهو ترك العطف... انظر كتاب "الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة" لمحمد بن علي بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ١٢١.

(٢) مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة صبيح– القاهرة، ٣٦١/٢.

وفي ضوء ما تواتر من أخبار عن حالة النبي ﷺ أول عهده بالوحي، وما واجه من تكذيب المشركين وحيرتهم فيما يصفونه به، ندرك عمق الآيات السابقة وأثرها في تثبيت المصطفى ﷺ وتقوية فؤاده، وتهيئته لما هو بسبيل أن يحتمل من أعباء التبليغ لرسالته، والصبر على ما يلقى من عنت المكذبين الضالين، وسفه الوثنية القرشية العاتية" [1].

التحليل البلاغي:

١- في قوله تعالى(مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أي برحمة ربك. لأن النعمة هاهنا الرحمة، وهذا جواب القسم، يثبت فيه الله سبحانه وينفي، يثبت نعمة الله على نبيه، في تعبير يوحى بالقربى والمودة، حين يضيفه سبحانه وتعالى إلى ذاته "ربك" وينفى تلك الصفة المفتراه التي لا تجتمع مع نعمة الله، على عبد نسبه إليه وقربه واصطفاه ... " مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ " ... هكذا في عطف وفي إيناس وفي تكريم،رداً على ذلك الحقد الكافر، وهذا الافتراء الذميم [2]

٢- وقد فصل بين قوله تعالى في هذه الآية، والآية السابقة لها، لأن الأولى إنشائية[3] لفظاً ومعنى، والثانية خبرية [4] لفظاً ومعنى فهي جواب القسم الواقع في الآية الأولى.

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، د/عائشة عبد الرحمن، ٢/٤٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق بيروت، ١٩٧٤م، ج٦/ص ٣٦٥٥

(٣) الأسلوب الإنشائي ينقسم إلى قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي ويعنى البلاغيون بالإنشاء الطلبي: ما يستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل... انظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الحميد هنداوى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع-القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ١٣٤.

(٤) الخبر هو :كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته، أي بقطع النظر عن خصوص المخبر سواء أكان مقطوعاً بصدقه أو كذبه ... والفيصل في معيار الصدق والكذب هو مطابقة الخبر أو موافقته لما في الخارج و الواقع ساعة التلفظ به دون النظر إلى المخبر أو الواقع، فأخبار القرآن الكريم،

٣- ورأى أبو حيان [١] أن "بنعمة ربك" قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في إنتفاء الوصف الذميم عنه ﷺ ، في حين رأى الزمخشري [٢] أن الباء زائدة لتأكيد النفي، ونرى مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن "الباء تأتى في خبر المنفي بما أو ليس فتجعله جحداً وانكاراً ... وفي سورة القلم تأتى الباء في خبر المنفي بما فتصير به إلى إنكار بات " [٣].

قال تعالى

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) ﴾

التفسير:

وإن لك لأجراً دائماً موصولاً، لا ينقطع ولا ينتهي، أجراً عند ربك الذي أنعم عليك بنعم النبوة ومقامها الكريم، وهذا الأجر هو ثواب الله في الآخرة وعناية الله به ونصره في الدنيا.

ومما فسره به الزمخشري "غير ممنون به عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك، وليس بتفضل ابتداءً، وإنما تمن الفواضل لا الأجور على الأعمال" [٤] . وقد أنكر أبو حيان رأى الزمخشري السابق ورأى فيه دسيسة الاعتزال[٥].

وأحاديث الرسول (ﷺ) لا تحتمل إلا الصدق، فصدقها إنما هو بالنسبة لقائلها، أما أخبار المتنبئين في دعوى النبوة كمسيلمة الكذاب، فهي أخبار مقطوع بكذبها إذا نظرنا لقائلها ... انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٧٨م، ص ١٢٠.

(١) البحر المحيط، للأندلسي، ٢٣٥/١٠.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، للزمخشري، شرح يوسف الحمادى، مكتبة مصر-الفجالة، ٤٣٩/٤.

(٣) التفسير البياني للقرآن الكريم، د/عائشة عبد الرحمن، ص ٤٦-٤٧.

(٤) الكشاف، للزمخشري، ٤٤١/٤.

(٥) البحر المحيط، للأندلسي، ٢٣٦/١٠.

التحليل البلاغي:

١- لما ثَبَّتَ الله رسوله ﷺ فدفع عنه بهتان أعدائه، أعقبه بإكرامه بأجر عظيم على ما لقيه من أذى من المشركين بقوله تعالى: "وإن لك لأجراً غير ممنون" مؤكداً هذه الجملة الخبرية بثلاث مؤكدات بـــ (إن) وبلام الابتداء وبتقديم المجرور في قوله "لك" ، وتأكيد الخبر بهذه المؤكدات الثلاثة فيه خروج بالكلام عن مقتضى الظاهر، وذلك

بتنزيل غير المنكر منزلة المنكر[١] وتأكيد الكلام على هذه الصورة للمبالغة في تأكيد الأجر والثواب على أداء الرسالة وتحمل أعباء الدعوة.

٢- تنكير "أجر" يفيد الإطلاق، والتعميم غير المقيد بتعريف يخصصه، ويجوز أن يكون "ممنون" مشتقاً من قولهم : مَنَّ الحبل إذا قطعه، أي أجراً غير مقطوع عنك، وهو الثواب المتزايد كل يوم ، أو أجراً أبدياً في الآخرة ، ولهذا كان لإيثار كلمة "ممنون" هنا من الإيجاز[٢] بجمع معنيين، بخلاف قوله تعالى (عطاء غير مجذوذ)

(هود- ١٠٨) لأن ما هنا تكرمة للرسول ﷺ.

---

(١) قسم البلاغيون الأسلوب الخبري على أساس علاقته بظاهرة التوكيد (وجوداً أو عدماً وقلة أو كثرة) إلى ثلاثة أنواع هي: ابتدائي، طلبي، إنكاري، ويطلق البلاغيون على مطابقة الأسلوب الخبري لتلك الأحوال مراعاة مقتضى الظاهر، ويضيفون أن ذلك الأسلوب قد يرد على خلاف مقتضى الظاهر، وذلك لم يجر في توكيده وعدم توكيده للأحوال الظاهرة من المخاطب، وقد ينزل خالي الذهن منزلة المتردد،وقد ينزل المنكر منزلة غير المنكر، وقد ينزل غير المنكر منزلة المنكر وذلك إذا بدا عليه شيء من علامات الإنكار فيخاطب حينئذٍ بالخبر مؤكداً في الأمر الذي لا ينكره. انظر علم المعاني، للدكتور حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٤٨-٥٠.

(٢) الإيجاز هو: تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها، وهو على ضربين، أحدهما القِصَر كما في الكلمة السابقة "ممنون" وهو الإيتان بلفظ قليل تحته معانٍ جمة، انظر: الطراز: ليحي بن حمزة العلوي، مراجعة محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص ٥٤٦.

٣- وصل الله سبحانه وتعالى بين هذه الآية والآية السابقة لها، لأنهما خبريتان لفظاً ومعنى والجامع بينهما اتحاد المسند إليه فيهما.

٤-بين كلمة "مجنون" و "ممنون" جناس ناقص.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)﴾

التفسير

وهذه شهادة إلهية بعظمة خلق المصطفى عليه الصلاة والسلام تتوج ما كان معروفاً من مكارم أخلاقه، وتمنحه القوة على مواجهة المكذبين الطاغين، وقيل سمى خلقه عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدل عليه قوله ﷺ : إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق" [١] وقيل: لأنه امتثل تأديب الله تعالى بقوله (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف -١٩٩). وقد روى عنه ﷺ أنه قال : "أدبني ربي تأديباً حسنا" إذ قال: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" فلما قبلت ذلك منه قال " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [٢].

وتتوارد أحاديث الرسول ﷺ في الحض على كل خلق كريم، وتقوم سيرته الشخصية مثالاً حياً وصفحة نقية وصورة رفيعة، تستحق من الله أن يقول عنها في كتابه الخالد : " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أف قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله:

---

(١) الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفا-القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، حديث رقم (١٦٢٧).

(٢) تفسير القرطبي، ٦٧٠٧/١٠.

ألا فعلته، وكان ﷺأحسن الناس خلقاً، وما مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ" [١] وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن [٢] أي ما تضمنه القرآن من إيقاع الفضائل والمكارم والنهى عن أضدادها .

والخلق العظيم هو "الخلق الأكرم في نوع الأخلاق وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ فهو حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن ... فكما جعل الله رسوله ﷺعلى خلق عظيم جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة" [٣]

التحليل البلاغى

١- وبعد أن آنس الله سبحانه وتعالى نفس رسول الله ﷺ بالوعد عاد إلى تسفيه قول الأعداء فحقق أنه متلبس بخلق عظيم وذلك ضد الجنون مؤكداً ذلك بثلاث مؤكدات إن، ولام الابتداء واسمية الجملة وهو توكيد يناسب قدر الإنكار، والكلام مسوق إلى من أنكروا كون النبي ﷺ على خلق عظيم.

٢- وقوله سبحانه (لعلى) للاستعلاء المجازى المراد به التمكن كقوله سبحانه وتعالى " (أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ) " وقوله(إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) ،(إنك على صراطٍ مستقيم)، وبهذا يزداد وضوحاً معنى التمكن الذي أفاده حرف الاستعلاء في قوله تعالى " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " فهو متمكن منه الخلق العظيم في نفسه، ومتمكن

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حديث رقم (٦٠٣٨).

(٢) صحيح مسلملإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، شرح النووي المطبعة المصرية ومكتباتها،ج٦/ص ٢٦.

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٩/ص ٦٤.

منه في دعوته الدينية" [1]، فقد شبه سبحانه وتعالى شدة التمكن والثبات من الخلق العظيم بتمكن المستعلي على المكان بجامع الهيمنة والسيطرة في كل منهما.

٣- والعظيم: الرفيع القدر وهو مستعار من ضخامة الجسم.

٤- وصلت هذه الآية بالآية السابقة لها لاتحادهما في الخبرية لفظاً ومعنى والجامع بينهما اتحاد المسند إليه في كل منهما.

قال تعالى:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ) (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ(٦)إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧)﴾

التفسير:

تدور مادة "بصر" حول الرؤية بحاسة البصر، فقد ورد في لسان العرب "البصر: العين إلا أنه مذكر، وقيل: حاسة الرؤية وبصر به بصراً وبصارة: نظر إليه هل يبصره. قال سيبويه: بصر صار مبصراً، وأبصره إذا أخبر بالذي وقعت عينه عليه" [2].

ويبدو أن استعمال البصر بمعنى رؤية المعنى، ملحوظ فيه غالباً التمييز ونفاذ النظر، والمثال على ذلك قوله سبحانه وتعالى: " أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ " (الطور-١٥) ، و قوله أيضاً " فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ" (يس -٩).

والبصر في آية القلم يراد به النظر الثاقب المميز والمعرفة المدركة وزمن الفعل فيه منقول إلى المستقبل القريب بحرف السين، ودخول هذه السين على الفعل المضارع يؤكد ويثبت معناه، قال ابن هشام "وزعم الزمخشري أنها إذا دخلت على فعل محبوب

---

(١) المصدر السابق، ٢٩/ص ٦٤.

(٢) انظر لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م، مادة (بصر).

أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ولم أر من فهم وجه ذلك، ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضية لتوكيده وتثبيت معناه"[١].

ومن معاني الفتنة في لسان العرب"الابتلاء والامتحان والاختبار وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الردئ من الجيد" [٢].

وذهب الفراء إلى أن المفتون ها هنا بمعنى "الجنون، وهو في مذهب الفتون كما قالوا: ليس له معقول رأى" [٣]، ولكننا نرى مع سيد قطب [٤] أن المفتون الذي يطمئن الله نبيه إلى كشفه وتعيينه هو الضال. أو هو الممتحن الذي يكشف الامتحان عن حقيقته و كلا المدلولين قريب من قريب، وحمل الفتنة على الضلال أقرب إلى سياق الآية بعده (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين).

وهذا الوعد من الله يشير إلى أن الغد سيكشف عن حقيقة النبي وحقيقة مكذبيه، ويثبت أيهم الممتحن بما هو فيه، أو أيهم الضال فيما يدعيه، ويطمئنه إلى أن ربه "هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" وربه هو الذي أوحى إليه، فهو يعلم أنه المهتدى ومن معه، وفي هذا ما يطمئن النبي ﷺ وفيه أيضاً ما يقلق أعداءه، وما يبعث في قلوبهم التوجس والقلق لما سيجيء.

التحليل البلاغي:

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ(٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦)﴾

١- الفاء للتفريع على قوله "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" باعتبار ما اقتضاه قوله "بنعمة ربك" من إبطال مقالة قيلت في شأنه ﷺ قالها أعداؤه في الدين، ابتداء بإبطال

---

(١) مغنى اللبيب، لابن هشام، ١/١٣٨-١٣٩.

(٢) لسان العرب، مادة "فتن".

(٣) معاني القرآن، للفراء، تحقيق د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ومراجعة الأستاذ/على الجندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ٣/١٧٣.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/٣٦٥٨.

بهتانهم، وفرع عليه أنهم إذا نظروا الدلائل وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون أهم مفتونون بالانصراف عن الحق والرشد، أم هو باختلال العقل كما اختلقوا[1].

٢- وزمن الفعل في قوله تعالى "فستبصر ويبصرون" منقول إلى المستقبل القريب بحرف السين الذي يخلص الفعل المضارع للاستقبال وفعلا "تبصر ويبصرون" بينهما جناس ناقص.

٣- وفي قوله تعالى "فستبصر" إيجاز بحذف المنادى، وسر الحذف هنا هو إرادة الاختصاص، والاحتراز عن التكرار غير المفيد، وقد حذف المفعول من الفعل "يبصرون" وسر الحذف هنا هو التهويل والتهديد.

٤- وقد تضمن فعل "تبصر ويبصرون" معنى : "توقن ويوقنون" على طريق الكناية بفعل الإبصار عن التحقق، لأن أقوى طرق الحس "حاسة البصر". ويكون الإتيان بالباء للإشارة إلى هذا التضمين. والمعنى: فستعلم يقيناً ويعلمون يقيناً بأيكم المفتون، فالباء على أصلها من التعدية متعلقة بـــ "يبصر ويبصرون" [2].

٥- ونلاحظ الوصل بين جملة " تبصر" وجملة " يبصرون" بالواو وهي من حروف العطف التي تفيد التشريك في الحكم والإعراب، والمعنى ستبصر يا محمد ويبصر الكفار إذا تبين الحق وانكشف الغطاء يوم القيامة.

٦- والباء في قوله " بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ " زائدة للتأكيد أي أيكم المفتون بالجنون .. وقيل ليست الباء زائدة والمفتون مصدر جاء على وزن مفعول كالمعقول والميسور،

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، ٢٩/ص ٦٤.

(٢) المصدر السابق، ٢٩/ص ٦٧.

والتقدير: بأيكم الفتون أو الفتنة، ... وقيل في الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى: بأيكم فتنة المفتون"[١].

٧- ورأى الفراء أن "الباء" بمعنى "في" أي ستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون" [٢] والباء على هذا الوجه الذي قاله الفراء تكون ظرفية، وتحمل معنى التعريض[٣] بأبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما من مدبري السوء.

ولذلك يجعل " الْمَفْتُونُ " في الآية وصفاً إدعائياً على طريقة التشبيه البليغ وذلك لأنهم بهذه الأقوال الشبيهة بأقوال المجانين وصفوا رجلاً معروفاً بينهم برجاحة العقل والأمانة منذ الجاهلية وصفوه بأنه مجنون، فكانوا كمن زعموا أن النهار ليل ومن وصف اليوم الشديد البرد بالحرارة على طريقة التشبيه البليغ[٤].

قال تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ[٧]﴾

التحليل البلاغي:

١- وهذه الجملة تضمنت وعداً ووعيداً، وهي تعليل للجملة التي قبلها، فإنها تتضمن الحكم عليهم بالجنون لمخالفتهم لما فيه نفعهم في العاجل والآجل، واختيارهم ما فيه ضرهم فيهما.

٢- وفي استعمال القرآن الكريم لكلمتي "الهدى والضلال" استعارتان وأصلهما في الضلال عن الطريق أو الاهتداء إليه، حسياً ومعنوياً ثم نقلا إلى الدلالة الإسلامية

---

(١) تفسير القرطبي، ٦٧٠٨/١٠.

(٢) معاني القرآن، للفراء، ١٧٣/٣.

(٣) التعريض لغة: ضد التصريح، يقال: عرضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، وفي الاصطلاح: المعنى الحاصل عند اللفظ لابه انظر: البيان في ضوء أساليب القرآن، للدكتور/عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٨٥، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) التحرير والتنوير، ج٢٩/ص٦٦.

على الكفر والإيمان، مع ارتباطهما بأصل المعنى الأول "لفظ السبيل" ترشيحاً للاستعارة.

٣- وهذا الانتقال تضمن وعداً ووعيداً، بإضافة السبيل إلى الله ومقابلة من ضل عنه بالمهتدين، وعموم من ضل عن سبيله وعموم المهتدين يجعل هذه الجملة –مع كونها كالدليل هي أيضاً– من التذييل[١].

٤- وقد عطفت جملة (وهو أعلم بالمهتدين) على جملة (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) والمعطوف والمعطوف عليه كلام مستأنف لبيان ما قبله وتأكيد لما تضمنه من الوعد والوعيد... وزيادة (هو أعلم) لزيادة التقرير مع الإيذان باختلاف الجـزاء" [٢].

قال تعالى :

﴿فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) ﴾

التفسير:

يكشف الله سبحانه وتعالى لسيدنا محمد ﷺ عن حقيقة حال الكفار، وحقيقة مشاعرهم، فنهاه عن ممايلة المشركين، وكانوا يدعونه إلى أن يكف عنهم ليكفوا عنه،

---

(١) التذييل: "هو تعقيب الجملة بجملة أخرى مستقلة تشتمل على معناها للتأكيد وهو نوعان: الأول: ضرب يجرى مجرى المثل، وذلك بأن يقصد بالجملة الثانية حكم مستقل عما قبله، جار مجرى الأمثال في فشو الاستعمال... الثاني: وهو ضرب لا يجرى مجرى المثل، فهو لا يستقل بمعناه، وإنما يتوقف على ما قبله" انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص ٢٦٢ وعلى هذا فقوله تعالى: "إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" تذييل أتى لتأكيد الجملة قبله، وهو جارٍ مجرى المثل.

(٢) روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م، ج٢٩/ص ٢٦.

فبين الله تعالى أن مما يلتهم كفر. فقال تعالى (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً) [الإسراء -٧٤] [١].

وقيل: فلا تطع رؤساء الكفر والضلال الذين كذبوا برسالتك وبالقرآن، فيما يدعونك إليه، قال الرازي: دعاه رؤساء أهل مكة إلى دين آبائه، فنهاه الله أن يطيعهم، وهذا من الله إلهاب وتهييج للتشدد في مخالفتهم[٢].

(وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ)

المداهنة والإدهان: المصانعة واللين، وقيل: المداهنة إظهار خلاف ما يضمر. والإدهان: الغش والمقاربة في الكلام والتليين في القول" [٣]، وفي معنى الآية يقول الفراء: ودوا لو تلين في دينك فيلينون في دينهم، وقال بعضهم: لو تكفر فيكفرون أي فيتبعونك على الكفـــــــــــــر" [٤].

وفي تفسير هذه الآية يقول الطبري: "ود هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك... فالإدهان مأخوذ من الدُّهن شبه التليين في القول بتليين الدّهن" [٥].

---

(١) تفسير القرطبي، ٦٧٠٩/١٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م، ج٣٠/ص٧٣.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة (دهن).

(٤) معاني القرآن، للفراء، ١٧٣/٣.

(٥) تفسير الطبري، المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ٣٠/ص ١٨٢.

التحليل البلاغي:

١- (فلا تطع المكذبين) الفاء لترتيب النهى على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم، أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك" [١].

٢- وجملة (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) تعليل للنهي أو للانتهاء وبيان لمتعلق الطاعة المنهي عنها، ولهذا فصلت هذه الجملة عن الجملة السابقة لها ولم تعطف.

٣- وقد عطفت جملة "فيدهنون" على الجملة السابقة لها، لأنها مسببة عنها، وليست بجواب التمني، لأنها لو كانت جواباً لحذفت النون.

قال الزمخشري في الكشاف "فإن قلت: لم رفع " فَيُدْهِنُونَ " ولم ينصب بإضمار "أن" وهو جواب التمني؟ قلت: لأنه قد عدل به إلى طريق آخر، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف.

أي فهم يدهنون، كقوله سبحانه وتعالى "فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ " [الجن ١٣]. على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذٍ، أو ودوا إدهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في إدهانك" [٢].

ويرى جمهور النحاة أن "لو على حقيقتها"، وجوابها محذوف ومفعول "وَدُّوا" محذوف كذلك دل عليه "لو تدهن" أي: (ودوا) إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك" [٣].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ج٢٩، ص ٢٦.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري، ٤٤٢/٤.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج٢٩، ص ٢٧.

قال تعالى:

﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠)هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) ﴾

التفسير:

ولما نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن عدم الخضوع إليهم جميعاً، عقب بنهيه عن الخضوع إليهم أفراداً فقال :"ولا تطع كل حلاف مهين" أي كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى بهذا مزجرة لمن اعتاد الحلف. (مَهِينٍ) حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة أو كذاب لأنه حقير عند الناس [١].

(هَمَّازٍ) الذي يهمز الناس، وهو العياب الطعان المغتاب [٢]. وقيل هو المغتاب الذي يطعن في أعراض الناس بما يكرهون [٣] وقال الزمخشري في الكشاف: هماز، عيَّاب طعان، وعن الحسن: يلوى شدقيه في أقفية الناس [٤]، وقيل الهماز والهمزة: الذي يخلف الناس من ورائهم، ويأكل لحومهم وهو مثل العيبة يكون ذلك بالشدق والعين والرأس" [٥].

(مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) أي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، وأصل النمّ في العربية: وسواس همس الكلام وأثر الريح في التراب. ومنه أسكت الله تعالى نامته أي ما ينم عليه من حركته" [٦].

---

(١) تفسير النسفي: ٢٨٠/٣.
(٢) معاني القرآن، للفراء، ١٧٣/٣.
(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ١٨٣/٢٩.
(٤) الكشاف للزمخشري، ٤٤٢/٤.
(٥) لسان العرب، مادة (همز).
(٦) لسان العرب، مادة (نمم).

(مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) وفيه قولان: أحدهما: أن المراد أنه بخيل، والخير المال. والثاني: كان يمنع أهله من الخير وهو الإسلام، وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين. وكان يقول لهم وما قاربهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبداً" [١] فكان يمنعهم بهذا التهديد عن الإسلام.

(مُعْتَدٍ): معناه أنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة يعنى أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح"[٢].

(أَثِيمٍ): كثير الآثام وهي الأفعال البطئة عن التواب والمراد بها المعاصي والذنوب" [٣].

(عُتُلٍّ): وهي لفظة تعبر بجرسها وظلها عن مجموعة من الصفات ومجموعة من السمات، لا تبلغها مجموعة ألفاظ وصفات. فقد يقال: إن العتل هو الغليظ الجافي. وإنه الأكول الشروب. وإنه الشره المنوع. وإنه الفظ في طبعه، اللئيم في نفسه، السيئ في معاملته... ولكن تبقي كلمة (عُتُلٍّ) بذاتها أدل على كل هذا، وأبلغ تصويراً للشخصية الكريهة من جميع الوجوه" [٤].

(زَنِيمٍ): الدعي الملصق بالقوم، وليس منهم[٥]، وكان الوليد بن المغيرة دعياً في قريش ليس من سنخهم، إدعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده [٦]، قال حسان بن ثابت:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم

كما نيط خلف الراكب القَدَح الفَرْدُ[٧]

---

(١) التفسير الكبير، للرازي، ٧٤/٢٩.

(٢) المصدر السابق، ٧٤/٢٩.

(٣) روح المعاني للألوسى، ٢٧/٢٩.

(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٣٦٦٣/٢٩.

(٥) معاني القرآن، للفراء، ١٧٣/٣.

(٦) تفسير القرطبي، ٦٧١٣/١٠.

(٧) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور/سيد حنفي حسين، دار المعارف بمصر، ص ١١٨.

يخاطب حسان بهذا البيت أبا سفيان بن حرب فيقول له: إنه زنيم أي معلق في آل هاشم كالزنمة في الإهاب وهي قطعة جلد صغيرة تترك معلقة بطرفه فشبهه بها، وشبهه بالقدح المنفرد والفارغ المعلق خلف الراكب.

التحليل البلاغي:

١- قال تعالى: (فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ) ثم قال (وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ) فأعاد سبحانه وتعالى فعل النهى عن الطاعة "لا تطع" لمن لهم هذه الصفات للاهتمام بهذا الأدب، فلم يُكتف بدخول أصحاب هذه الأوصاف في عموم المكذبين، ولا بتخصيصهم بالذكر بمجرد عطف الخاص على العام بأن يقال: ولا كل حلاف، بل جيء في جانبهم بصيغة نهى أخرى مماثلة للأولى بغرض التهييج والإلهاب أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف مهين حقير الرأي والتدبير.

٢- وكلمة "كل" هنا تفيد الإحاطة والشمول لأفراد الاسم الذي تضاف إليه، فهي هنا تفيد النهى العام عن طاعة كل فرد من أفراد أصحاب هذه الصفات التي أضيف إليها "كل" بالمباشرة وبالنعوت[١].

٣- وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالحلاف المهين هو الوليد بن المغيرة، وقيل هو الأخنس بن شريق، وقال آخرون: الأسود بن عبد يغوث، وقال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام [٢].

وإنما عنوا أن المراد التعريض بواحد من هؤلاء، وإلا فإن لفظ (كل) المفيد للعموم لا يسمح بأن يراد النهى عن واحد معين، أما هؤلاء فلعل أربعتهم اشتركوا في معظم هذه الأوصاف، فهم ممن أريد بالنهى عن إطاعته ومن كان على شاكلتهم من أمثالهم، وليس المراد من جمع هذه الخلال، بل من كانت له واحدة منها.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/٧٠.

(٢) تفسير القرطبي، ١٠/٦٧١٠.

٤- و(حَلاَّف) كناية عن عدم المبالاة بالكذب وبالأيمان الفاجرة، فجعلت صيغة المبالغة كناية عن تعمد الحنث بالأيمان.

٥- وفي كلمة "هماز" صيغة مبالغة أيضاً راجعة إلى قوة الصفة، وأصله في اللغة الضرب طعناً باليد أو بالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه وبعينه وإشارته.

٦- وفي (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) صيغة مبالغة أيضاً، والمشي: استعارة لتصوير حال النمام بأنه يتجشم المشقة لأجل النميمة، وهو تصوير للمعقول في صورة المحسوس، ذلك أن أسماء الأشياء المحسوسة أشد وقعاً في تصور السامع من أسماء المعقولات، فذكر المشي بالنميمة فيه تصوير لحال النمام وتشويه له، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ مر بقبرين، فقال: "إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" [١].

٧- وقد تجلى فن المناسبة في مجئ صفات (حلاف، هماز، مشاء، مناع للخير) صفات مبالغة ونوسب فيها فجاء (حلاف) وبعده (مهين) لأن النون فيها مع الميم تراخ. ثم جاء (هماز مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) بصفتي المبالغة، ثم جاء (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) فمناع وأثيم صفتا مبالغة [٢].

وبعد أن عد له سبحانه وتعالى من المثالب والنقائص سبعا أتى بصفتين من أشد معايبه وهما كونه (عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ).

٨- ومعنى (بعد ذلك) علاوة على ما عُدد له من الأوصاف هو سيِّئ الخلقة سيِّئ المعاملة، فالبعدية هنا بعدية في الارتقاء في درجات التوصيف المذكور، فمفادها

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (حديث رقم/١٣٦١).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ٢٣٨/١٠.

مفاد التراخي الرتبي كقوله تعالى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) [النازعات- ٣٠] على أحد الوجهين فيـــــــــه [١].

قال تعالى:

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) ﴾

التفسير:

ثم إنه تعالى بعد تعديد هذه الصفات قال (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ،إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) والمعنى متعلق بقوله (وَلا تُطِعْ) أي ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا، ويجوز أن يتعلق بما بعده أي لأن كان ذا مال (وَبَنِينَ) كذب بآياتنا يدل عليه (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أي القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ولا يعمل فيه (قال) لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله" [٢].

وقال العلامة سيد قطب في تفسير الآيات السابقة "وما أقبح ما يجزى إنسان نعمة الله عليه بالمال والبنين، استهزاء بآياته، وسخرية من رسوله، واعتداء على دينه، ... وهذه وحدها تعدل كل ما مر من وصف زميم" [٣].

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)﴾

هذه الآية جاءت على وجه الوعيد بالإذلال والاهانة والتحقير، صدعاً لكبرياء المغتر بماله وبنسبه، والسمة: العلامة، والوسم علامة تعرف بها الإبل ونحوها، جعل سمة لها أنها من مملوكات القبيلة أو المالك المعين. والمعنى: سنعامله معاملة يعرف بها أنه عبدنا وأنه لا يغنى عنه ماله وولده منا شيئا.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/٧٤.

(٢) تفسير النسفي، ٣/٢٨٠.

(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٢٩/٣٦٦٣.

التحليل البلاغي:

١- في قوله تعالى: "سنسمه على الخرطوم" استئناف بياني جواباً لسؤال ينشأ عن الصفات الذميمة التي وصفوا بها، أن يسأل السامع: ما جزاء أصحاب هذه الأوصاف على ما أتوه من القبائح والاجتراء على ربهم؟

ومن الملاحظ أن ضمير المفرد الغائب في قوله (سَنَسِمُهُ) عائد إلى كل حلاف باعتبار لفظه، وإن كان معناه الجماعات، فإفراد ضميره كإفراد ما أضيف إليه (كل) من الصفات التي جاءت بحالة الإفراد. والمعنى: سنسم كل هؤلاء على الخراطيم" [١].

٢- والوسم على الخرطوم: كناية عن صفة المهانة والذلة التي تلحقه وعجز صاحب الأنف عن المقاومة لأن الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه ولذا جعلوه مكان العزة والحمية، ولذلك غلب ذكر الأنف في التعبير عن إظهار العزة في قولهم "شمخ بأنفه، وهو أشم الأنف، وقالوا في الذليل جدع أنفه، وعلى رغم أنفه، قال جرير:

لما وضعت على الفرزدق ميسمى

وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل [٢]

يريد أنه وسم الفرزدق والبعيث وجدع أنف الأخطل بالهجاء أي ألقى عليه عاراً لا يزول. ومعظم المفسرين على أن المعنىَّ بهذا الوعيد هو الوليد بن المغيرة. وقد ضرب في غزوة بدر الكبرى، على أنفه بالسيف، فبقيت سمة على خرطومه. ولما كان الأنف رمز الشموخ والاستعلاء، فإن الضرب عليه ذلة وصغار، وتحقير وهوان، وهذا ما يرومه السياق، فالكناية –هنا– عن صفة [٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/٧٧.

(٢) ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ج١/١٥٠.

(٣) الكناية: لفظ أريد به لازم معناه الحقيقي، مع جواز إرادته لذلك المعنى الحقيقي،

قال تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾

التفسير :

من الفنون الأدبية الرفيعة التي وردت في القرآن الكريم القصة جاءت القصة لتساهم فيما يرمى إليه القرآن بعامة من الوعظ و النصح والإرشاد. والقصة التالية (قصة أصحاب الجنة) يكشف السياق القرآني فيها عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته، ومن ابتلاء وجزاء لبعض عباده، وفيها سخرية بالكيد البشرى العاجز أمام تدبير الله وكيده، كما تتميز بالحيوية في العرض حتى لكأن السامع –أو القارئ– يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى.

وخلاصة القصة أن أصحاب الجنة، وهم قوم من أهل اليمن كان أبوهم رجلاً صالحاً، وكان إذا بلغ ثماره أتاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها، وأن يأكلوا منها، ويتزودوا، فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض: علام نعطى أموالنا هؤلاء المساكين ونحن أولو عيال. وأقسموا فيما بينهم، حين آن الحصاد، أن يتسللوا إلى جنتهم في الصبح الباكر ليجنوا ثمرها وأكلها لا يبقون منه شيئاً للمحتاج. وفيما هم نائمون، طاف على جنتهم طائف اقتلع النخل والكرم والشجر ومضى فطاف به حول البيت العتيق

وهي تنقسم باعتبار المكنى عنه إلى ثلاثة أنواع. كناية عن صفة، كناية عن موصوف، وكناية عن نسبة، انظر كتاب الإيضاح، للخطيب القزوينى، ص ٢٨٦.

تبركاً، ثم وضعه حيث قامت بلدة الطائف، وليس في أرض الحجاز بلدة غيرها فيها الماء والشجر والأعناب، وترك الجنة صريماً جرداء خـــــــلاء [1].

التحليل البلاغي:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨)﴾

١- ضمير الجمع في يلوناهم عائد على (المكذبين) و (كل حلاف مهين) وفي المماثلة بينهم في البلاء وبين أصحاب الجنة، قال صاحب البحر المحيط: "العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة، هو الجدب الذي أصابهم سبع سنين حتى رأوا الدخان وأكلوا الجلود" [2].

٢- وفي الآية تشبيه تمثيلي، حيث شبه سبحانه وتعالى بلاء قريش ببلاء أصحاب الجنة، وما يجمع بين الاثنين هو أن أصحاب الجنة عزموا على الانتفاع بثمرها وحرمان المساكين فحرمهم الله تعالى، وأن "قريشاً" حين خرجوا إلى (بدر) حلفوا على قتل الرسول ﷺ وأصحابه، فإذا فعلوا ذلك رجعوا إلى مكة فطافوا بالكعبة وشربوا الخمور، فقلب الله عليهم بأن قتلوا وأسروا" [3].

ووجه المشابهة أيضاً بين حالهم وحال أصحاب الجنة المذكورة هنا هو الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته.

وهذا التمثيل تعريض بالتهديد بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب، وإن اختلف السبب في نوعه فقد اتحد في جنسه. وقد حصل

---

(١) انظر تفسير الطبري، ١٩٠/٢٩، والبحر المحيط لأبي حيان، ٢٤١/١٠، والتفسير الكبير للرازي، ٧٧/٢٩-٧٨، وتفسير القرطبي، ٦٧١٨/١٠، والتفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة عائشة عبد الرحمن، ٦٤/٢.

(٢) البحر المحيط: ٢٤٤/١٠.

(٣) المصدر السابق: ٢٤٤/١٠.

ذلك بعد سنين إذ أخذهم الله بسبع سنين بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وذلك استجابة لدعوته ﷺ فيهم حين قال: "اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف" (١).

(إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلا يَسْتَثْنُونَ)

٣- ليصرمنها: جواب القسم لا على منطوقهم، إذ لو كانت على منطوقهم لكان (لنَصْرِمُنَّهَا) بنون المتكلمين (٢)، واللام واقعة في جواب القسم، وهي تدخل على الفعل الماضي والمستقبل والاسم لغرض التوكيد.

٤- وفي الجملة السابقة إيجاز بحذف جملة القسم وهي قولهم "بالله"

٥- (وَلا يَسْتَثْنُونَ) أي أقسموا ليصرمن جميع الثمر ولا يتركون منه شيئاً ولا يستثنون لأيمانهم بأن يقولوا (إن شاء الله) كما قال تعالى: (وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)(الكهف – ٢٤) ووجه تسميته استثناء أن أصل صيغته فيها حرف الاستثناء وهو (إلا) فإذا اقتصر أحد على "إن شاء الله" دون حرف الاستثناء أطلق على قوله ذلك استثناء لأنه على تقرير: إلا أن يشاء الله(٣).

٦- وفي العدول إلى الفعل المضارع بدلاً من الماضي نوع تعبير وتنبيه على مكان خطئهم ولاستحضار حالتهم العجيبة من بخلهم على الفقراء والأيتام.

٧- وقد عطفت جملة (وَلا يَسْتَثْنُونَ) على جملة (أقسموا) لأن مقتضى الظاهر فيها "وما استثنوا" ولأن المسند إليه في الجملتين واحد.

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)﴾

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ح/١٠٠٦).

(٢) البحر المحيط: ٢٤١/١٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير: ٨١/٢٩.

١- الطواف: المشي حول شيء من كل جوانبه يقال: طاف بالكعبة، وأريد به هنا تمثيل حال الإصابة لشيء كله بحال من يطوف بالمكان.

٢- وجاءت كلمة " طَائِفٌ " نكرة منونة لغرض الإبهام تعظيماً لما أصاب جنتهم، وقد بينه بقوله "فأصبحت كالصريم" فهو طائف سوء.

٣- وبين كلمة (طاف،وطائف) جناس الاشتقاق[١].

٤- (فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ): والصريم في اللغة هو: الليل المظلم [٢]، وهو من أسماء الليل ومن أسماء النهار لأن كل واحد منهما ينصرم عن الآخر وعلى هذا المعنى فبين (أصبحت) و (الصريم) محسن الطباق وبين "يصرمنها" و "الصريم" جناس الاشتقاق.

والجملة السابقة جاءت على صورة التشبيه، إذ شبه سبحانه وتعالى الجنة بعد أن أصبحت محترقة سوداء بسواد الليل المظلم البهيم.

قال تعالى:

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣) أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)﴾

التفسير :

هذا هو الفصل الثاني من هذه القصة وهو يمثل أصحاب الجنة يصحون مبكرين كما دبروا، وينادى بعضهم بعضاً قائلين لبعضهم: هيا إلى ما حرثتم من زرعكم لتقطفوا ثماره- والحرث هو الزرع والأعناب وما شابههما- فامضوا إليه (إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ)

---

(١) جناس الاشتقاق: وهو أن يجمع الاشتقاق اللفظين، بمعنى أ، يجمعهما أصل واحد في اللغة، كقوله تعالى: (فأقم وجهك للدين القيم ...) فالأصل اللغوي لـــ "أقم والقيم" واحد ... انظر: البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٦٥.

(٢) لسان العرب، مادة "صرم"

أي إذا قررتم قطع ثمار النخل كما اتفقنا (فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ* أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) أي "فاستجابوا للنداء وذهبوا إلى جنتهم وهم يتحدثون سراً فيما بينهم لئلا يشعر بهم أحد، يتواصون (أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) أي فقير و (وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) أجل إنهم لقادرون على منع وحرمان الفقراء لإحراز جميع ما في حديقتهم من ثمر. وما دروا أن الله مخلف ظنهم وناقض عزمهم [1].

التحليل البلاغي:

١- فتنادوا: الفاء للتفريع على "أقسموا ليصرمنها مصبحين" أي فلما أصبحوا تنادوا لإنجاز ما بيتوا عليه أمرهم، وهو مشعر بالتحريض على الغدو إلى جنتهم مبكرين.

٢- أن اغدوا: بمعنى اخرجوا على أن (أن) تفسيرية، وهو أسلوب إنشائي طلبي (أمر) غرضه البلاغي الحث وتحريك الهمة.

٣- على حرثكم: قال (على حرثكم) ولم يقل (إلى حرثكم) لأن الغدو إلى الحرث ليصرموه كان غدواً عليه، كما تقول غدا عليهم العدو، ويجوز أن تضمن الغدو معنى الإقبال، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين [2].

– ويرى الألوسى أن قوله تعالى (أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ) يجوز أن يكون من غدا عليه إذا غار. بأن يكون قد شبه غدوهم لقطع الثمار بغدو الجيش على شيء، لأن معنى الاستعلاء والاستيلاء موجود فيه وهو الصرم والقطع ويكون هناك استعارة تبعية [3].

٤- (إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ): الجملة فيها إيجاز بحذف جملة جواب الشرط والتقدير "إن كنتم صارمين فاغدوا على حرثكم" [1] وحذف جملة جواب الشرط واجب "إن تقدم

---

(١) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، للسيد عبد الله كنون، دار الثقافة، المغرب، ص ٢٢٦.

(٢) انظر: تفسير النسفي: ٢٨١/٣، التفسير الكبير للرازي، ٧٨/٢٩، وتفسير البحر المحيط، ٢٤٢/١٠.

(٣) روح المعاني، للألوسى، ٣٠/٢٩.

عليه أو اكتنفه ما يدل على الجواب، فالأول نحو: هذا ظالم إن فعل، والثاني نحو: هو إن فعل ظالم" [٢].

٥- (فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ* أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) يتخافتون بمعنى يتسارون فيما بينهم لئلا يسمعوا المساكين، و "أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين" تفسير لفعل "يتخافتون" و(أن) تفسيرية، لأن التخافت فيه معنى القول دون حروفه. وأسند إلى "مسكين" فعل النهى عن الدخول، والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه منه كقولهم لا أرينك هــهنا[٣]، وتأكيد فعل النهى بنون التوكيد لزيادة تحقيق ما تقاسموا عليه.

٦- (وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ) أي على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون أنهم تمكنوا من مرادهم[٤]، وفي إيثار كلمة "حرد" في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته من حيث المعنى، ومن جهة تعلق المجرور بما يناسب كل معنى من معانيه، أي بأن يتعلق "على حرد" بـــــ "قادرين" أو بقوله "غدوا" فإذا علق " بقـــــــادرين "

فتقديم المتعلق يفيد تخصيصاً أي قادرين على المنع، أي منع الخير أو منع ثمر جنتهم غير قادرين على النفع [٥].

---

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيى الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م، ١٧٦/١٠.

(٢) مغنى اللبيب، لابن هشام، ٦٤٧/٢.

(٣) روح المعاني، ٣١/٢٩.

(٤) تفسير القرطبي، ٦٧٢١/١٠.

(٥) تفسير التحرير والتنوير، ٨٣/٢٩.

٧- وفي تقديم الجار والمجرور على "قادرين" إفادة للحصر ورعاية الفواصل، أي وغدوا قادرين على منع المساكين وطلبوا حرمانهم ونكدهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على المنع والحرمان.

٨- وقد أفادت كلمة "قادرين" من عكس الكلام معنى التهكم والسخرية أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين.

قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْراً مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) ﴾

التفسير:

هذا هو الفصل الثالث الذي يمثلهم وقد شاهدوا ما حل بجنتهم فيندمون ولات ساعة مندم. فما أن رأوها حصيداً قفراً، حتى ثابوا إلى رشدهم وأدركوا أنهم ضالون. ولما ذكرهم أوسطهم بما تهاونوا به. حين حذرهم من نسيان الله والتفريط في حق نعمته، أقبل بعضهم يلوم بعضاً، وتضرعوا إلى الله أن يغفر لهم ما كان من طغيانهم وظلمهم : "عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون" [١].

التحليل البلاغي:

١- أفادت (لما) اقتران جوابها بشرطها بالفور والبداهة، والغرض من ذلك هو "التعريض بالمشركين، بأن يكون حالهم في تدارك أمرهم وسرعة إنابتهم كحال أصحاب هذه الجنة إذ بادروا بالندم وسألوا الله عوض خير" [٢].

---

(١) انظر: تفسير سور المفصل من القرآن، ص ٢٧٧، والتفسير البياني للقرآن الكريم، ٦٤/٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٨٥/٢٩.

٢- وقد فصلت جملة (إِنَّا لَضَالُّونَ) عن جملة (قالوا) لشبه كمال الاتصال، لأن جملة "إنا لضالون" وقعت جواباً عن سؤال مقرر اقتضته جملة (قالوا)، فكأن سائلاً يسأل حينما سمع جملة "قالوا" ماذا كان قولهم؟ فتكون الإجابة: قالوا: إنا لضالون" ففصلت الجملة الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من قوة الاتصال والربط المنافي للعطف المقتضى للحاجة إلى العاطف.

٣- وقد استعير لفظ (الضلال) لعدم الهداية، أي أنهم كانوا في ضلال عن طريق الشكر، أي كانوا غير مهتدين. ويحتمل أن يكون الضلال حقيقياً، أي ضلال طريق الجنة، أي قالوا: ما هذه جنتنا الموقرة بالثمار، لقد أخطأنا الطريق في السير إليها.

٤- وقد أكدت جملة "إنا لضالون" بإن واللام واسمية الجملة لأن المتكلمين كانوا أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت الخبر عن طريق المبالغة في تأكيده، فهم ينزلون أنفسهم منزلة من ينكر أنهم ضالون طريق الخير لقرب عهدهم بالغفلة عن ضلالهم ففيه إيذان بالتحسر والندم.

وأرى أن الكلام هنا جاء مطابقاً لمقتضى حال المتكلمين، مراعياً للحالة النفسية التي كانوا عليها، وهذه ليست منفصلة عن تلك، ومجئ الأسلوب مطابقاً لحال المتكلم كثير في القرآن الكريم.

٥- وفي قولهم "بل نحن محرومون" إضراب للانتقال إلى ما هو أهم بالنظر لحال تبييتهم، إذ بيتوا حرمان المساكين من فضول ثمرهم، فكانوا هم المحرومين من جميع الثمار.

٦- وفي ذكر المسند إليه "نحن" ضميراً بارزاً مع أن مقتضى الظاهر أن يكون ضميراً مستتراً في اسم المفعول مقدراً مؤخراً عنه لأنه لا يتصور إلا بعد سماع متحمّله، إيذاناً بمعنى الاختصاص، أي القصر، وهو قصر إضافي[١].

٧- وقد فصلت جملة (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) عن جملة " بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ "، لأنه قول في مجرى المحاورة جواباً عن قولهم "بل نحن محرومون" قاله لهم على وجه توقيفهم على صواب رأيه وخطل رأيهم.

٨- وفي قوله "ألم أقل لكم لولا تسبحون" أسلوب إنشائي طلبي والغرض البلاغي للاستفهام فيه هو التقرير[٢].

٩- وفي جوابهم "قالوا سبحان ربنا" إقراراً منهم بأن أخاهم الأوسط قد وعظهم فعصوه وبادروا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا (سُبْحَانَ رَبِّنَا) وأقروا على أنفسهم بالظلم (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ).

١٠- وجملة "إنا كنا ظالمين" جملة خبرية مؤكدة بإن، وهي تحمل معنى الإقرار بالذنب والتأكيد لتحقيق الإقرار والاهتمام به. وهذه الجملة "إنا كنا" تعليل للتنزيه اعترفوا به بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء.

١١- وقد فصلت جملة " سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ " عن جملة "قالوا" لشبه كمال الاتصال، لأن جملة "سبحان ربنا" وقعت جواباً عن سؤال مقدر اقتضته جملة "قالوا".

---

(١) ينقسم القصر باعتبار اعتقاد المتكلم إلى :قصر حقيقي، وقصر إضافي، والقصر الإضافي: هو ما اختص فيه المقصور بالمقصور عليه بالنسبة لشيء معين "انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص ١٩٨.

(٢) التقرير: المراد به حمل المخاطب على الإقرار بأمر قد استقر عنـــده يعرفه ويشترط فيه أن يذكر بعد الهمزة ما حمل المخاطب على الإقرار به. انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور/عبد الفتاح لاشين، ص ١٨٦.

١٢- ولنتأمل معاً هذا الإيجاز الرائع في قوله تعالى "فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون" أي يلوم بعضهم بعضاً يقول هذا لهذا أنت أشرت علينا بهذا الرأي، ويقول ذاك لهذا أنت خوفتنا بالفقر، ويقول الثالث لغيره أنت الذي رغبتنى في جمع المال، هذه الحالة والتقاذف الواقع بينهم بهذا الإجمال البالغ غاية الإيجاز.

١٣- وقد وقعت جملة " قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ " مبينة ومفسرة لجملة "يتلاومون" فتكون بهذا خبراً مستعملاً في التقريع على طريقة التعريض بالخبر والإقرار على النفس، مع التحسر والتندم الذي أفاده نداءهم (يَا وَيْلَنَا).

١٤- وقد فصلت جملة (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ) عن جملة: "قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين" لكمال الاتصال، لأن الجملة الثانية بياناً للأولى وإيضاحا لها.

١٥- وجملة "إنا إلى ربنا راغبون" وقعت بدلاً من جملة الرجاء "عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها" أي هو رجاء مشتمل على رغبة إليه بالقبول والاستجابة، وهي كذلك جملة خبرية مؤكدة بـــ (إن) للاهتمام بهذا التوجيه، والغرض من الإطناب في قولهم بعد حلول العذاب بهم تلقين الذين ضرب لهم هذا المثل بأن في مكنتهم الإنابة إلى الله بنبذ الكفران لنعمته إذ أشركوا به من لا إنعام لهم عليه [١].

قال تعالى:

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ(٣٣)﴾

التفسير:

أي أن مثل العذاب الذي أصيب به أصحاب الجنة المذكورة نازل بأهل مكة في الدنيا لبطرهم، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد من عذاب الدنيا لو كان عندهم فهم وعلم، قال ابن عباس: هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر، وحلفوا ألا يرجعوا إلى مكة حتى يقتلوا محمد ﷺ وأصحابه، ويشربوا الخمور، وتضرب القينات على رءوسهم،

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ج٢٩، ص ٨٨.

فأخلف الله ظنهم، فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا [1].

التحليل البلاغي:

١- لعلنا نلحظ روعة الأداء وقوة النظم في الآية السابقة، في وضع الجار والمجرور (المسند) في مكانه الخاص الدقيق في الجملة مقدماً على المسند إليه "العذاب" بغرض إفادة قصر المسند إليه على المسند، والاهتمام بإحضار صورته في ذهن السامع.

٢- والتعريف في "العذاب" تعريف الجنس وفيه توجيه بالعهد الذهني، أي عذابكم الموعد مثل عذاب أولئك والمماثلة في إتلاف الأرزاق والإصابة بقطع الثمرات[2].

٣- والتشبيه في قوله تعالى " كَذَلِكَ الْعَذَابُ " تشبيه تمثيلي إذ شبه الحق سبحانه وتعالى العذاب الذي أصيب به أصحاب الجنة بالعذاب الذي نزل بأهل مكة في الدنيا لبطرهم، وقد أصيبوا فعلاً بالقحط والجوع حتى أكلوا الجيف.

٤- وفي قوله (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، أسلوب إنشائي غير طلبي، طريقه القسم، إذ الواو للقسم، واللام واقعة في جواب القسم.

قال تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ(٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ(٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ(٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ(٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ(٤١)﴾

---

(١) تفسير القرطبي، ١٠/ص ٦٧٢٥.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٩، ص ٨٩.

التفسير:

لما فرغ الله سبحانه وتعالى من ذكر حال الكفار، وتشبيه ابتلائهم بابتلاء أصحاب الجنة المذكورة، ذكر حال المتقين وما أعده لهم من جنات النعيم الخالص الذي لا يشوبه كدر ولا ينغصه خوف زوال.

ولما سمع المشركون قوله تعالى (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ) قالوا: إنا نعطى في الآخرة أفضل مما يعطون وذلك لغرورهم بغناهم وكثرتهم فنزلت (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) أي لا يمكن أن نجعل من آمن بالله واتبع دينه مساوياً للمكذب الجاحد فـ (مَا لَكُمْ) معشر الكفار (كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد، ألكم كتاب تدرسون فيه ما تتخيرون فيه من دنياكم وأخراكم، أم لكم أيمان وعهود موثقة على الله سبحانه وتعالى، بالغة إلى يوم القيامة، إن لهم ما يحكمون. فـ "سلهم" يا محمد (أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) يضمن أن لهم إلى يوم القيامة ما يحكمون؟ (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ) ثم سلهم أعندهم شركاء لله أرباب تكفل لهم هذا، (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ).

وتمضي كل هذه الأسئلة لا تنتظر جواباً، وإنما حسب القرآن الكريم أن يواجههم بها على هذا الأسلوب البياني، غضاً من شأنهم وصدعاً لغرورهم وتحقيراً لكبرهم. وعدم انتظار الجواب عنها، فيه تعجيز لهم وإفحام، وفيه كذلك عبرة بالغة لكل ذي سمع وبصر[1].

التحليل البلاغي:

١- في قوله تعالى: " إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ " استئناف بياني، فيه خروج بالكلام عن مقتضى الظاهر، لأنه لما ذكر سبحانه وتعالى عذاب الآخرة للمجرمين، نشأ عن ذلك سؤالاً في نفس السامع يقول: فما جزاء المتقين؟ على سبيل تنزيل

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم، د/عائشة عبد الرحمن، ٢/ص ٦٧.

غير السائل منزلة السائل، لتقدم ما يستدعى سؤالاً، وقد أشعر بتوقع هذا السؤال قوله تعالى (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ).

٢- وعن فائدة (إن) في مثل هذه المواقع يقول عبد القاهر الجرجاني: "وإن في مثل هذه المواقع بجانب إفادتها التأكيد والتعليل تربط بين الجملتين برباط قوى بحيث لا يستقيم الكلام بدونها، ولا يصح غيرها من أدوات الربط مكانها، فهي تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً، فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، ومقطوعاً موصولاً ... وترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها، وتأتلف معه، وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما قد سبك في الآخر" [١].

٣- وقد قدم المسند (لِلْمُتَّقِينَ) على المسند إليه (جَنَّاتِ النَّعِيمِ) لغرض بلاغي هو التشويق إلى ذكر المسند إليه و الاهتمام بشأن المتقين ليسبق ذكر صفتهم العظيمة ذكر جزائها.

٤- (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) أسلوب إنشائي استفهامي غرضه البلاغي هو الإنكار والتوبيخ بمعنى أفنساوى بين المطيع والعاصي، والمحسن والمجرم، وإنكار جعل الفريقين متشابهين كناية عن إعطاء المسلمين جزاء الخير في الآخرة وحرمان المشركين منه، لأن نفى التساوي وارد في معنى التضاد في الخير والشر في القرآن الكريم، قال تعالى: " أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ " [السجدة:١٨].

٥- هناك طباق في المعنى في قوله تعالى " أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ " لأن المقصود بالمجرمين هم (المشركون) كما نلاحظ التشبيه المقلوب في الآية السابقة،

---

(١) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، قراءة وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، ص ٢٤٣.

لأن الأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين في الأجر والمثوبة، فقلب التشبيه بجعل المشبه به مشبهاً ليكون أبلغ وأروع في التعبير عن المعنى المقصود.

٦- في قوله تعالى "ما لكم كيف تحكمون" التفات [١] عن ضمائر الغيبة إلى ضمائر الخطاب تعجباً من حكمهم واستبعاداً له وإيذاناً بأنه لا يصدر عن عاقل، إذ معنى ما لكم أي شيء حصل لكم من خلل الفكر وفساد الرأي [٢].

٧- وقوله تعالى (مَا لَكُمْ) استفهام إنكاري لحالة حكمهم، وقوله "كيف تحكمون" استفهام إنكاري ثان في موضع الحال من ضمير (لَكُمْ) أي انتفى أن يكون لكم شيء في حال حكمكم، أي فإن ثبت لهم كان منكراً باعتبار حالة حكمهم[٣].

٨- وقد أفادت "أم" في قوله تعالى (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) معنى (بل) التي هي للإضراب الانتقالي من التوبيخ إلى الاحتجاج على كذبهم، والهمزة التي في ضمنها للاستفهام الانكارى التوبيخي أن يكون لهم كتاب وهو إنكار مبنى على الفرض وإن كانوا لم يدعوه[٤].

٩- ومن الاستنكار والإنكار عليهم ينتقل إلى التهكم بهم و السخرية منهم "أم لكم كتاب فيه تدرسون، إن لكم فيه لما تخيرون" وفي هذا إدماج بالتعريض بأنهم أميون ليسوا أهل كتاب وأنهم لما جاءهم كتاب يهديهم ويلحقهم بالأمم ذات الكتاب كفروا نعمته وكذبوه، قال تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ) [الانبياء:١٠] .

---

(١) الالتفات: هو الانتقال بالأسلوب من صيغة المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى صيغة أخرى، بشرط أن يعود الضمير الثاني على نفس الذي يعود عليه الضمير الأول، انظر المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص ٢٥٩.

(٢) روح المعاني، للألوسى، ج٢٩، ص ٣٣.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ج٢٩، ص ٩٢.

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحي الدين الدرويش، ١٠/ص ١٧٩.

١٠- (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) أسلوب إنشائي استفهامي غرضه البلاغي الإنكار والتوبيخ والتقريع عن أن يكون لهم عهود ومواثيق مؤكدة وثابتة أخذوها على الله لأنفسهم أن يعاملهم يوم القيامة بما به لأنفسهم.

١١- (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) هذه الجملة الخبرية المؤكدة بـ (إِنَّ) هي جملة جواب القسم، لأن معنى (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا) أم أقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد[١].

١٢- وجملة "سلهم أيهم بذلك زعيم" جملة مستأنفة استئنافاً بيانياً عن جملة "أم لكم أيمان علينا بالغة" والاستفهام فيها بغرض التهكم والسخرية والإنكار عليهم. و "في (سلهم) تكوين للخطاب وتوجيه له ﷺ باسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتاً لهم" [٢]، وقد جعل الزعيم أحداً منهم زيادة في التهكم وهو أن جعل الزعيم لهم واحداً منهم لعزتهم ومناغاتهم لكبرياء الله تعالى[٣].

١٣- وقوله تعالى (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) هذه الجملة الإنشائية معطوفة في المعنى على جملة "أيهم بذلك زعيم" فكأنه قيل: هل منهم كفيل بصحة ذلك القول، أم هل لهم مشارك من غيرهم يساعدهم على صحته.

١٤- وتنكير شركاء في حيز الاستفهام المستعمل في الإنكار يفيد انتفاء أن يكون أحد من الشركاء أي الأصنام لهم، أي لنفعهم فيعم أصنام جميع قبائل العرب المشترك في عبادتها بين القبائل، والمخصوصة ببعض القبائل.

---

(١) تفسير النسفي، ٣/ص ٢٨٣.

(٢) روح المعاني، للألوسي، ج٢٩، ص ٣٤.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ٩٥.

١٥- ويظهر في الآية السابقة أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، حيث عبر عنى المعنى أولاً بطريق الخطاب فقال: (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ) ثم التفت فعبر ثانياً عنه بطريق الغيبة فقال: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ } وكان مقتضى السياق أن يقال : (لكم).

١٦- وقوله (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) أسلوب إنشائي طلبي طريقه (الأمر) أي فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم، وفي هذا الأمر تعجيز لهم وإفحام، وصدع لغرورهم وتحقيرهم.

١٧- وفي إضافة (شركاء) إلى ضميرهم في قوله (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) إبطال صفة الشركة عنهم، أي ليسوا شركاء في الإلهية إلا عند هؤلاء فإن الإلهية الحق لا تكون نسبية بالنسبة إلى فريق أو قبيلة[١].

قال تعالى:

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ(٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)﴾

التفسير:

أي فليجيئوا بشركائهم الذين عبدوهم مع الله في ذلك اليوم الذي تبدو فيه الأهوال قائمة على قدم بحيث لا يردها شيء حين تشتد، وأي شدة أفظع هولاً على الكافرين من يوم الحساب، حين يدعون إلى السجود تعجيزاً وتحسيراً وتقريعاً، فإذا الفرصة قد فاتت: أضاعوها ظلماً وبغياً حين كانوا يدعون في حياتهم إلى السجود وهم سالمون قادرون[٢].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ج٢٩/ص ٩٦.

(٢) انظر: الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمد السبزاوى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م، ٧/ص ٢١٤، وانظر أيضاً: التفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة/عائشة عبد الرحمن، ٢/ص ٦٨.

التحليل البلاغي:

١- قوله تعالى(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) كناية عن شدة الهول، وتفاقم الخطب يوم القيامة. يوم تبلغ أحوال الناس منتهى الشدة والروع وهي أشد ساعة في يوم القيامة.

٢- في مجئ كلمة (سَاقٍ) نكرة دلالة على التعظيم، كأنه قيل يوم يكشف عن شدة، وأي شدة، أي شدة لا يمكن وصفها [١] .

٣- في جملة (وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) تعريض بالمنافقين على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف بأنهم يحشرون مع المسلمين وحين يمتحن الناس بدعائهم إلى السجود ليتميز المؤمنون الخلص عن غيرهم تميز تشريف، فلا يستطيع المنافقون السجود فيفتضح كفرهم، قال القرطبي عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود: إذا كان يوم القيامة قام الناس لرب العالمين... فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخر من كان يعبده مخلصاً ساجداً، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأن في ظهورهم السفافيد [٢] فيذهب بهم إلى النار" [٣].

٤- وجملة "خاشعة أبصارهم" حال من ضمير (يُدْعَوْنَ)، وأبصارهم مرتفع به على الفاعلية، وقد استعير لهيئة النظر بالعين بذلة وخوف وصف (خاشعة) لأن الخاشع يكون مطأطئاً مختفياً.

٥- وفي نسبة الخشوع إلى الأبصار مجاز عقلي [٤] لأن ما في القلب يعرف من العين ونسب الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها.

---

(١) التفسير الكبير، للرازي، ج٢٩/ص ٨٤.

(٢) السفافيد: جمع السفود وزن التنور، وهي الحديدة التي يشوى بها اللحم.

(٣) تفسير القرطبي، ١٠/ص ٦٧٢٩.

(٤) هو إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينه مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي، انظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، ص ١٠٦.

٦- جملة (وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) معترضة بين ما قبلها وما تفرع عنها. أي كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود لله وحده وهم سالمون من مثل الحالة التي هم عليها في يوم الحشر.

قال تعالى:

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ(٤٧)﴾ .

التفسير:

هــذا تهديد للكفار وهو تهديد مزلزل ... فالجبار القهار القوى المتين يقول للرسول ﷺ :

خل بيني وبين من يكذب بهذا الحديث وذرني لحربه فأنا كفيل به ! وهذا منتهى الوعيد (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم بطريق الاستدراج بالنعم إلى الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون، (وَأُمْلِي لَهُمْ) أي أمهلهم وأطيل في أعمارهم ليزدادوا إثماً (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أي إن انتقامي من الكافرين قوى شديد وفي الحديث: (إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) [١].

(أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) أي إنك يا محمد لا تسألهم أجراً على إبلاغ دعوة الإسلام إليهم فتثقل عليهم بهذا المغرم فيثبطهم عن الإيمان،(أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) وهم لا علم عندهم بالغيب فيكتبونه مستغنين به عن القرآن، فما يضيرك شيئاً تكذيبهم لك ولا إعراضهم عنك[٢]

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ح/٤٦٨٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ٣٦٦٨/٢٩، وتفسير سور المفصل من القرآن الكريم، للسيد عبد الله كنون، ص ٢٣١.

التحليل البلاغي:-

١- في قوله (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) الفاء حرف عطف لتفريع الكلام الذي عطفته على الكلام الذي قبله لكون الكلام الأول سبباً في ذكر ما بعده، فبعد أن استوفى الغرض من موعظتهم ووعيدهم وتزييف أوهامهم أعقب بهذا الاعتراض تسلية للرسول ﷺ بأن الله تكفل بالانتصاف من المكذبين ونصره عليهم[١].

٢- والأسلوب في قوله (فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) أسلوب إنشائي (أمر) الغرض البلاغي منه التهديد والوعيد للكفار والتوعد لهم بسوء المآل، وفيه أيضاً تسلية للنبي ﷺ عما يلقاه منهم من التكذيب والإعراض، ووعد له بالنصر.

٣- وجملة (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) بيان لمضمون جملة (ذرني ومن يكذب بهذا الحديث) باعتبار أن الاستدراج والإملاء يعقبهما الانتقام فكأنه قال: سنأخذهم بأعمالهم فلا تستبطئ الانتقام فإنه محقق وقوعه ولكن يؤخر لحكمة تقتضى تأخيره ... ونون (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نون المتكلم المشارك، و المراد الله وملائكته الموكلون بتسخير الموجودات وربط أحوال بعضها ببعض على وجه يتم به مراد الله" [٢].

٤- وفي قوله (وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) مجاز مرسل [٣]علاقته السببية، فقد سمى إمهاله إياهم ومرادفة النعم والآلاء عليهم كيداً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً في التورط والهلاك.

٥- وجملة (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) جملة معطوفة على قوله تعالى (أَمْ لهم شركاء) والاستفهام الذي تؤذن به (أَمْ) استفهام غرضه البلاغي الإنكار والتوبيخ لفرض أن يكون مما يخامر نفوسهم فرضاً اقتضاه استقراء نواياهم من

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ج٢٩/ص١٠٠.
(٢) المصدر السابق، ص ١٠١/٢٩.
(٣) الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له لعلاقة بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي للكلمة، انظر: نظرات تطبيقية في علم البيان، للدكتور/عبد الفتاح محمد سلامة، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى، ص ٧٨.

مواقع الإقبال على دعوة الخير والرشد ... والفاء للتفريع والتسبب، أي فيتسبب على ذلك أنك شققت عليهم فيكون ذلك اعتذاراً منهم عن عدم قبول ما تدعوهم إليـــــه [1].

٦- و(مِنْ مَغْرَمٍ) متعلق بـــــ (مُثْقَلُونَ)، و (مِنْ) ابتدائية، وهو ابتداء مجازى بمعنى التعليل، وتقديم المعمول على عامله للاهتمام بموجب المشقة قبل ذكرها مع الرعاية على الفاصلة.

٧- والاستفهام في قوله (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) غرضه البلاغي التقريع والتوبيخ. ونلاحظ في الجملة الإيجاز بحذف المضاف على تقدير (أعندهم علم الغيب) وقد ورد ذلك في قوله تعالى: (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) [النجم:٣٥] كما نلاحظ أيضاً تقديم المسند (عندهم) على المسند إليه (الغيب) بغرض إفادة القصر والاختصاص، أي صار علم الغيب عندهم لا عند الله.

قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ(٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)﴾

التفسير:

أمر الله نبيه ﷺ بالصبر لقضائه لما كان يلقى من قومه من الأذى وما يلحقه منهم من العنت في سبيل دعوتهم إلى الله، ونهاه أن يكون مثل سيدنا يونس عليه السلام في الضجر والعجلة (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) أي دعا ربه وهو مغموم في بطن الحوت وكان دعاؤه (لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء:٨٧] ولولا أن أدركته

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ١٠٤.

رحمة من ربه لنبذه الحوت من بطنه (بِالْعَرَاءِ) وهو مذموم، لكن انتفى عنه الذم، لأن رحمة الله أدركته واصطفاه ربه ورده إلى قومه نبياً كما كان وجعله من الصالحين [1].

التحليل البلاغي:

١- جملة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) تفريع على ما تقدم من إبطال مزاعم المشركين ومطاعنهم في القرآن والرسول ﷺ و ما تبعه من تكفل الله لرسوله ﷺ بعاقبة النصر، وذلك أن شدته على نفس النبي ﷺ من شأنها أن تدخل عليه يأساً من حصول رغبته ونجاح سعيه، ففرع عليه تثبيته وحثه على المصابرة واستمراره على الهدى[2].

٢- وقوله " فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ " أسلوب إنشائي "أمر" غرضه البلاغي النصح والإرشاد لتثبيت النبي ﷺ و حثه على المصابرة واستمراره على الهدى.

٣- وقوله (وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) كناية عن موصوف هو سيدنا يونس عليه السلام، والغرض البلاغي من النهى في هذه الجملة هو تحذير النبي ﷺ من الضجر والعجلة فيصيبه ما أصاب سيدنا يونس عليه السلام حين التقمه الحوت، وكان من أمره ما كان.

٤- والجملة السابقة أيضاً جاءت على سبيل التشبيه التمثيلي، إذ شبه الحق سبحانه وتعالى حال سيدنا محمد ﷺ في موقف العنت والتكذيب من الكافرين بحال سيدنا يونس حينما ضاق صدره ولم يصبر على تكاليف الرسالة، فلولا أن تداركته نعمة الله لنبذ وهو مذموم.

٥- قوله تعالى (إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) أي في حالة وقت ندائه ربه لإنقاذه من كربه الذي وقع فيه بسبب مغاضبته وضجره من قومه، وجملة (وَهُوَ مَكْظُومٌ) جملة

---

(١) انظر البحر المحيط في التفسير، ٢٤٩/١٠، ومعاني القرآن للفراء ١٧٨/٣، وتفسير القرطبي، ٦٧٣١/١٠، وتفسير سور المفصل من القرآن الكريم، ص ٢٣٢.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ١٠٤

حالية من ضمير (نَادَى) وجئ بها جملة اسمية لدلالتها على الدوام والثبات، أي هو في حبس لا يرجى لمثله سراح، وهذا تمهيد للامتنان عليه بالنجاة من مثل ذلك الحبس.

٦- وقوله تعالى: (لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ) استئناف بياني ناشئ عن مضمون النهى من قوله (وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ) لأنه يتضمن التحذير من الوقوع في كرب من قبيل كرب يونس ثم لا يدرى كيف يكون انفراجه[١].

٧- وأفاد تنكير كلمة (نِعْمَةٌ) معنى التعظيم لأنها نعمة مضاعفة مكررة.

٨- وفي جملة (وَهُوَ مَذْمُومٌ) مجاز مرسل علاقته السببية، لأن اللوم في الحقيقة سبب للذم. وعن هذه الجملة يقول الإمام فخر الدين الرازي: "هل يدل قوله (وَهُوَ مَذْمُومٌ) على كونه فاعلاً للذنب؟ الجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أن كلمة (لَوْلا) دلت على أن هذه المذمومية لم تحصل، والثاني: لعل المراد من المذمومية ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. والثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) والفاء للتعقيب [٢]. وأرى أن حمل الآية على المجاز أولى من تكلف جميع هذه الاحتمالات التي أتى بها الفخر الرازي.

٩- وجملة (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) معطوفة على مقدر أي: فأدركته نعمة من ربه فاجتباه [٣] أي فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه، ونلاحظ الوصل بين جملة (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) وجملة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) لإتحادهما في الخبرية لفظاً ومعنى والجامع بينهما اتحاد المسند إليه فيهما.

قال تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ١٠٥.

(٢) التفسير الكبير، للرازي، ٨٧/٢٩.

(٣) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود محمد بن محمد العماوي، المطبعة المصرية، ج١٨٧/٥.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ(٥٢)﴾

التفسير:

أي ولقد كاد الكفار من شدة عداوتهم لك يا محمد أن يصرعوك بأعينهم ويهلكوك، من قولهم نظر إلى نظراً كاد يصرعني، قال ابن كثير: وفي الآية دليل على أن العين وإصابتها وتأثيرها حق بأمر الله ﷻ، ويؤيده قول الرسول ﷺ: العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين" [١]. (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) أي حين سمعوك تقرأ القرآن، ويقولون من شدة بغضهم وحسدهم لك: إن محمداً مجنون (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) أي وما هذا القرآن المعجز إلا موعظة وتذكير للإنس والجن.

التحليل البلاغي:

١- الأسلوب في قوله تعالى : " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ " أسلوب خبري مؤكد بإن، ولام الابتداء وهو معطوف على جملة " فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ) فقد عرف الحق سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بعض ما تنطوي عليه نفوس المشركين نحو النبي ﷺ من الحقد والغيظ وإضمار الشر عندما يسمعون القرآن" [٢].

٢- جاءت كلمة " يَكَادُ " بصيغة الفعل المضارع للدلالة على استمرار ذلك الفعل من الكفار وتجدده منهم في المستقبل.

٣- وكلمة (لَيُزْلِقُونَكَ) كناية عن السقوط والاندحاض ، لأن معنى (أزلقه): أزاله عن مكانه و(المزلقة) الموضع الذي لا تثبت عليه قدم، وزلق رأسه: حلقه [٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٤/ص ١٧١.

(٢) التحرير والتنوير، ج٢٩/١٠٧.

(٣) مختار الصحاح: للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عنى ترتيبه محمود خاطر، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة، مادة (زلق)

٤- وقد جعل صاحب التحريروالتنويرالإزلاق بأبصارهم على وجه الاستعارة المكنية، وقال في شرحها: "شبهت الأبصار بالسهام ورمز إلى المشبه به بما هو من روادفه وهو فعل "يزلقونك" وهذا مثل قوله تعالى:(إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا)[آل عمران:١٥٥][١].

٥- وجاء فعل "سمعوا" ماضياً لوقوعه مع (لَمَّا) وللإشارة إلى أنه قد حصل منهم ذلك وليس مجرد فرض.

٦- وفي قوله (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) فصلت الجملة الثانية (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) عن الجملة الأولى (وَيَقُولُونَ) لشبه كمال الاتصال (الاستئناف) إذ كانت الجملة الأولى تثير سؤالاً مؤداه: وماذا كان قولهم عندما سمعوا الذكر؟ هذا السؤال المقدر تجيب عنه الجملة الثانية (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) وهذا هو سر الفصل بين هذه الجملة والتي قبلها.

٧- وفي قوله "ويقولون إنه لمجنون) مع قوله في أول السورة (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) محسن بديعي لفظي هو " رد العجز على الصدر" يتناسق فيه البدء مع الختام في أروع بيان وأجمل ختام.

٨- وقوله (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) "أسلوب قصر طريقه النفي والاستثناء، أي وما هذا القرآن إلا عظة وعبرة للإنس والجن. وهو إبطال لقولهم "إنه لمجنون" لأنهم قالوه في سياق تكذيبهم بالقرآن فإذا ثبت أن القرآن ذكرٌ بطل أن يكون مبلغه مجنوناً.

وخير ما نختم به قول الحق سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) [البقرة:٢٨٦].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/ص ١٠٨.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٢- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، لعبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠٠١م.

٣- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، لمحمد بن على بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، نهضة مصر للطباعة والنشر-القاهرة.

٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيى الدين الدرويش، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

٥- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، تحقيق الدكتور/عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٦- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، طبع بعناية الشيخ عرفات العشا حسونة ومراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر-بيروت ١٩٩٢م.

٧- البديع في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠١م.

٨- البيان في ضوء أساليب القرآن، للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

٩- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبي السعود محمد بن محمد العماوى، المطبعة المصرية.

١٠- التفسير البياني للقرآن الكريم، للدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة.

١١- تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٧م.

١٢- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، للسيد عبد الله كنون دار الثقافة-المغرب.

١٣- تفسير الطبري، المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٤- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

١٥- تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن"، للقرطبي، دار الريان للتراث، القاهرة.

١٦- تفسير النسفى، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٢م.

١٧- الجديد في تفسير القرآن المجيد، للشيخ محمد السبزاوى، دار التعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.

١٨- دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

١٩- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق الدكتور نعمان أمين طه، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.

٢٠- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور/سيد حنفي حسنين، دار المعارف بمصر.

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٥م.

٢٢- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، شرح النووي المطبعة المصرية ومكتباتها.

٢٣- الطراز، ليحي بن حمزة العلوي، مراجعة محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢٤- علم المعاني، للدكتور حسن طبل، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لإبن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وعبد العزيز بن باز، مكتبة الصفا بالقاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٢٦- فتح القدير، للشوكاني، تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث-القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

٢٧- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق-بيروت، ١٩٧٤م.

٢٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، للزمخشري، شرح يوسف الحمادى، مكتبة مصر، الفجالة.

٢٩- لسان العرب، لإبن منظور، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٩م.

٣٠- مجمع البيان لعلوم القرآن، تأليف الإمام السعيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسى، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع، طهران، ١٩٧٧م.

٣١- مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، عنى بترتيبه محمود خاطر، دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة.

٣٢- المعاني في ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة ١٩٧٨م.

٣٣- معاني القرآن، للفراء، تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي ومراجعة على الجندي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

٣٤- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لإبن هشام، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة صبيح، القاهرة.

٣٥- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٣٦- نظرات تطبيقية في علم البيان، للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى.